اليوم هو اليوم الموعود.

اليوم سألتقي بمحبوبي بمفردنا للمرّة الأولى.

إشراقتي ستكون لهُ وحده.

زيّنتُ وجهي مسبقاً بقناع من طمي النيل الذي جلبتهُ وصيفتي ني وحضّرته بحب من أجلي. فقط لو أنّها علمت لمَن أزيّن نفسي لما أهدَرَت ولو ذرّة واحدة من حبّها وحنوّها في تحضيره.

علماً أنّ ني ليست غبيّة مطلقاً. هي امرأة حكيمة سليلة عشرات النّساء الحكيمات. بالتأكيد لم تخفى عليها نظراتي المغرمة، نبضاتي التي كدت أنا بنفسي لا أعرفها أحياناً، أو جسمي الذي أصبح محموماً على الدوام.

عينها الثاقبة لن تعجز عنّي.. ولكنّها _ وبدون أن تُظلعني على شكوكها حتى _ عملت جاهدة على إخمادها وأظنني أعرف السبب إذا لطالما ردّدتْ على مسامعي عبارتها الشهيرة بنبرة لا تشبه نبرة الخادمات : "عندما تخافين من شيء ادفنيه وادفني معه خوفكِ". تسلّل وحش الخوف إلى قلبها وببساطة هي دفنت خوفها.

آه كم أودّ مشاركتها مشاعري هذه. عرفتُ ني منذ الخامسة وأصبحت ملكي عندما أتممتُ الثامنة. طوال هذه السّنوات لم

اختيار

أُخفِ عنها شيء، ولكنني أعلم حقّ العلم أن هذا الشيء بالتحديد لا يصلُح لأن أُطلعها عليه ولو بعد مائة عام..

" سيدتي. وصلت ناشت زيهي." قالت ني بصوت عالٍ كان من شأنه جذبي بقوة من أفكاري الدّاخلية المليئة بحبيّ المُحرّم.

اعتدلت في جلستي أمام مرآتي الضّخمة وسمحتُ للمصففة زيهي أن تقوم بعملها.

بينما تعمل بإخلاص قالت المصففة الخبيرة بقصد تسليتي والقضاء على الصمت الذي يملأ القاعة الكبيرة : "منذ الأزمان السّحيقة استخدم الناس *الغرين* يا ملكتي المعظّمة، هذه النعمة التي يجلبها لنا النيل العظيم، استخدموها لعمل أقنعة للبشرة لما لها من أثر فعال في تغذية البشرة وتقويتها وتجديد حيويتها والمحافظة على نضارتها وليونتها وصفائها. وكانوا محقين.. إذ آراكِ نضرة كالزهرة يا جلالة الملكة. ألا توافيقنني الرأي يا سيدة ني؟"

أومأتْ ني برأسها وتابعتْ التّحديق في المرآة بصمت ووجوم، عيناها الحالكتان تقتحمان أعماقي عبر عيناي

" وما يزال النيل العظيم يجود علينا بنعمه حتى هذا اليوم جلالتك." تابعتْ ناشت زيهي كلامها الذي يبدو أنها تكرّره على الأقل عشر مرّات في الشّهر الواحد.

عندما انتهت زيهي من تنظيف بشرتي من جميع الأقنعة التي وضعتها الخادمات _ بإرشاد منها _ منذ ساعات، غسلتْ يديها، وأمسكت بالمقص الذهبيّ متوّسط الحجم بأصابعها السمراء الطويلة جميلة الشكل وبدأت في تشذيب حاجباي الذَين رسمَتهما بنفسها بهاتين اليدين منذ ليلتين.

ثمّ أمرت تابعتها أن تناولها صندوق الكحل البلدي الذي تفتخر عائلتها بصنعه منذ أجيال.

ويحضر السناج عن طريق إحراق بذور الكتان أو قشر ..." اللوز.." بينما تُعمل يديها الداكنتين الملطختين بالكحل بكل مهارة قالت زيهي.

لم أسمع كل أحاديثها _ والتي سمعتها سابقاً لأخذ العلم _. بل كنت في عالمي الخاص أستحضر الليلة التي أثار مير فيها انتباهي للمرة الأولى ربما، بالرغم من أنه يعمل في القصر مذ جئت كزوجة أي أنني أعرفه منذ ما يقارب العشر سنوات.

تلك الليلة كنت سأنام دامعة العينين ككل يوم سبقها في ذلك الشهر الكئيب. ولكن مراقبتي له بينما يرقص بكل حب نابع عن قلب كبير حنون أنساني حزني تقريباً.

في تلك الليلة خرجت مع ني لزيارة ضريح والدي. خرجنا في منتصف الليل لأنني وبجدية لم أستطع النوم قبل الاطمئنان على والدي الذي برغم الفترات القصيرة التي عشتها برفقته أحببته بشدة.

هناك وجدنا الخادم الطّويل وسيم المظهر برغم ردائه الرث يرقص حزيناً مكلوماً بوسط هدوء وصمت المكان، يرقص وحيداً في منتصف الليل من أجل روح سيّده الذي أحبه بشدة ولكن مكانته لم تسمح له بالرقص إلا بالخفية تحت ستار الليل الحالك.

عندما لمحنا قادمتين من بعيد على ضوء المشعل الذي تحمله ني بيسراها الصلبة السمراء، توقّف هلعاً وأخذ يتلفت في

اختيار

جميع الاتجاهات مذعوراً كأنه رأى مَن كان يرقص بغاية طردهم منذ لحظات.

وهو بالتأكيد لم يتوقع أن آمرهُ بمتابعة الرقص.. وما كان منه إلا أن نفّذ. فوقفنا في ركن بعيد قليلاً، نشاهده يرقص بجسد عارٍ تقريباً يرتعد خوفاً، ولكن الحب والإخلاص التامّ بقي واضحاً جلياً في جميع حركاته.

وبعد نقاش مع ني فرضتُ رأيي عليها وانتظرتني مجبرة على بعد محدد خائفة من أعين فضولية قد تراقب حتى في ظلمات اللّيل الأشدّ حلكةً.

أمّا أنا فقد انضممتُ إلى الخادم قويّ البنية في الرّقص المنتظم على إيقاع الصّمت الموحش تُفرّقنا أشياءٌ كثيرة ويجمعنا حبّنا الحقيقيّ لهذا الرّجل العظيم المدفون وحيداً في الدّاخل. متجنّبة بقدر الإمكان أمارات العتب والحنق التي تعلو الوجه المسنّ للمرأة الواقفة بعيداً.

بعد فترة من الوقت وقفنا نحن الثلاثة أمام أحد جوانب باب المقبرة. كلّ غارق بأفكاره الخاصة.

وعلى هذا الجانب كُتب بخط واضح ما أوصى والدي بكتابته : "أنتم أيها الأحياء الذين على الأرض، والمحترمون والمحبوبون من الإله، الذين سيمرون بهذا القبر، صبُّوا الماء والجعة ممّا معكم، وإذا اتفق أن لم يكن لديكم شيء فقولوا بأفواهكم، وضعوا مما في أيدكم خبزًا نقيّاً، وجعة، وحيوان قربان وطيوراً وبخوراً نقيّاً لشريف الملك *حرخوف*"

اختيار

وبعد مدّة قفل كلّ منّا عائد من حيث أتى. فرجع الخادم إلى منزله. وعدتُ برفقة ني إلى القصر.

-

الآن انتهت المصفّفة من جميع ما يمكن أن تقوم به لإظهار جمالي، وغادرت.

ناولتني ني ردائي الطويل ناصع البياض ذو القبعة المتّصلة به. أمرتها أن تبقى ولا تتبعني. ثم غادرت ولدي الكثير من التخيلات عن هذه الساعات الفريدة التي سأمضيها برفقة محبوبي. محبوبي الذي تعبتُ حقّاً للحصول على حبّه..

*

في بقعة ما على ضفاف النيل وقف شاب وسيم يبدو من لباسه أنه من الخدم الملكي. من مسافة عدة أمتار تستطيع استشعار قوته الممزوجة بتوتر غريب.

يقف في مكان فارغ من أيّ إنسان أو حيوان. ما عدا الحيوانات السابحة في مياه النيل المقدّسة.

كان ينظر بعيداً في الأفق باتجاه سفينة مغادرة. وفي داخل رأسه كانت تدور العديد من الأفكار.

اليوم هو أغرق نفسه بالعطر المصنوع من مزيج الزنبق والقرفة. هو لأول مرة يستخدم هذا النوع الثمين من العطر حصل عليه كهدية من جلالتها في زجاجة مرمر جميلة سيضعها كزينة في غرفته الصغيرة لما تبقى من حياته. وأخذ يفكّر أن هذه الزّجاجة ستكون ذكرى مميزة عندما تملّ جلالتها وتقرر العودة لملكها المبجّل.

اختيار

هو لا يزال يذكر تلك اللحظة جيّداً. بعد عدّة لقاءات كانت تدبّرها جلالتها في أروقة؛ رواق خالي مختلف في كلّ مرّة، كانت بشكل غريب تعمل بجميع أوقات عمله واستراحاته وهو يعلم حقّ العلم أن حتى الملكة لن تستطيع التحرّي حول هكذا أمر بدون إثارة الكثير من الشكوك.

في كلّ مرّة كانت تقابله بمفردها. وبرغم قلقها وتوتّرها الظاهرَين كانت تسعى لجذب انتباهه بشتى الطرق، وفي النهاية هي نجحت. هذه الملكة لا تشبه نساء الأشراف. إن صحّ التعبير فهذه المرأة هي فتاة أحلامه.

نشأتْ بينهما مع مرور الزّمن علاقة عذريّة غريبة عن حياتهما وعن حياة المجتمع بأكمله. بمكان ما وبغفلة عن كليهما وجدا نفسيهما يتورّدان ويزدهران بقرب بعضهما، ويتشوّقان للقاء قادم غير معروف الموعد.

كانت الملكة تشغل تفكيره في كلّ مكان وفي كلّ حين.

وعلم أنها يشغلها بدوره عندما توجّب عليه السفر إلى أهله في الريف للاطمئنان على حال والده المريض الوحيد.

عندما عاد إلى القصر ودخل إلى ملكه المتربّع على عرشه. لأوّل مرة هو لم يشعر بالتوتّر من احتمال اكتشاف ملكه الجليل ما يختلج في صدره وعقله من أفكار محرّمة عليه وعلى أمثاله حول أصغر زوجات جلالته. لم يشعر بالتوتر لأنه شاهد لمعان عينيّ جلالتها ، ولمس شوقها الواضح وحماسها للقائهما الذي أصبح ممكناً الآن بعد فراق طويل عليهما بينما في الواقع هذا الفراق لم يتجاوز ثلاثة أشهر.

اختيار

لقائهما القادم كان في الشرفة المفضّلة لجلالته، كما أنها المفضلة لملكته الأولى كذلك، وبالرغم من المخاطر العديدة هما حظيا بلقاء مميز _ ليلاً كدائماً _ هناك في الشرفة حيث حصل على اعتراف من ملكته المبجّلة وعلى هدية ثمينة. عندما تذكر الاعتراف ارتجف جسده. هو خادم لهذا الملك كما خدم أخيه ووالده من قبلهما، وهو بحق يحترق داخلياً بفعل ذنب الخيانة العظيم، خيانته مضاعفة؛ هو خائن للمملكة كما أنه خائن للتعاليم الدينية المقدّسة.. هو يرغب فقط ألّا يعلم والده المريض والوحيد بما آل إليه ولده من عاصي.

سابقاً عندما قررت شقيقته العمل في القصر كراقصة ساء حال والدته وماتت حزينة مقهورة، وهو يعلم أن هذا ما سيحلّ بوالده لو علم بخيانته الفظيعة..

على كلّ حال، هو سيحرص على أن يعيش هذا اليوم مقدراً إيّاه حقّ قدره، وسيترك المستقبل لإله المستقبل.

-

••••••••••••••••••••••••••••••••••••••

اختيار

سمع وقع حذاء اعتاد على سماعه في الفترة السابقة وتقريباً هو يكاد يحفظه.

التفتَ إلى معشوقته التي تشعّ كالشمس في وسط الظّلام.

شعرها الأسود الذي ما يزال يستشعر نعومته الفائقة برؤوس أصابعه حتى الآن، مثبّت جيّداً لا يتأثر بمقدار أنملة في هذا الجو العاصف.

عيناها المكحّلة تشتعل حماساً وربما خوفاً.

تقدّم إليها مركزاً بصره على بديع جمالها وما كان من الملكة إلّا أن أخذته بأحضانها فور وصوله إليها، تُشبع شوقها المتزايد أبداً، تستنشق عميقاً تخزّن الرائحة الساحرة الناتجة عن امتزاج الزنبق والقرفة مع رائحة محبوبها الطبيعيّة، عملت الرائحة دورها في إخبار بمقدار تعب صاحبها، بمقدار خوفه، بمقدار شعوره بالذنب، أما اللّمسات الحانية التي تفتعلها يديه الماجنة على بقع مختلفة من جسدها فقد أوصلت لها مقدار حبّه ورغبته بها.

-

جلسا على ضفّة النّيل يتشاركان الأحاديث والمخاوف والأماني.

" جلالتك هل تعلمين ما نهاية كلّ هذا؟ أرجوكِ دعيني أطمئن إن كان بمقدورك ذلك." قال مير بنبرة تحمل من التجليل والتوقير ما يناقض تماماً لواقعهما الحالي، على الأرض الطينية جلست الملكة وعلى فخذيها وضع الخادم رأسه ممدّداً جسده على الطّين الجَافّ يحدق تارة في العينين البنيّتين

اختيار

لمعشوقته وتارة في الأفق البعيد مستمتعاً بكل لحظة يعيشها مع ملكته الآن قد لا يتسنّى له إعادتها لاحقاً..

أجابت الملكة بثقة : "لا أعلم ما نهاية هذا ولكنّك تجلس الآن مع الملكة نيث. صحيح أني لم أولَد ملكة أو أميرة ولكنّني واثقة أن الإلهة نيث ترعاني. والآن هي ترعاك."

لم تكد تكمل كلماتها وإذ بالليل يحال نهار ويعجّ المكان بالجنود ضخام الجثث الحاملين أسلحتهم الثقيلة المخيفة جميعها.

بالقوة تم اقتيادهما إلى القصر مسحولَين على الأرضية المعبّدة المنبسطة.

تم إهمال مكانة الملكة بأمر من الفرعون المبجّل فتعامل معها الجنود بقسوة وفظاظة كأيّ خائنة مجرمة بعد تجريدها من كلّ ما يتعلّق بمكانتها العظيمة من رداء أو حليّ.

في قاعة العرش التي تمتلأ بالوزراء والموظّفين والخدم والعبيد كساعات النهار، تمّ رمي المجرمَين أمام قدميّ الملك الذي كان في اللحظة السابقة فقط يراقب قزمه الماهر الذي كان يتمايل بانسجام مع الألحان الصادرة عن عزف الموسيقيين. أما الآن فقد خيّم الصّمت على القاعة الضّخمة التي يتوسطها قزم بثياب ثمينة ساقط أرضاً بتعب يلتقط أنفاسه. ويترأسها كما يترأس مصر وما حولها فرعون يجلس على عرشه عيناه تقدح شرراً وجهه الشاب متجهّم يبدو أنه مستعدّ للقتل والتنكيل.

التّاج الضّخم يقبع فوق الرّأس الصّغير المشغول بالتفكير بإنزال أشدّ العقوبات على الخائنَين.

اختيار

ضرب فرعون صولجانه وقال بصوت قاسٍ يوجه حديثه لحارس يقف أمامه بعيداً قليلاً عن المجرمين : "أين وجدتهما؟ وهل هذه المرّة الأولى؟"

أحنى الحارس رأسه أكثر مما هو محني بخضوع وقال بتهذيب : "وجدتهما بجانب النيل يا مولاي. هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها شيئاً مُفجِعاً كهذا جلالت..."

قطع الملك حديث حارسه وأشار بيده إلى مرافقه أن يقرّب إليه جسد الملكة.

نكز المُرافق ظهر الملكة الراكعة أرضاً بنصل سيفه المعدني دافعاً إياها نحو الأمام أقرب لعرش الملك.

في القاعة الكبيرة عم الهدوء المخيف وحتى الهمسات المعتادة لم تُسمَع.

وصلت الملكات المبجّلات" صاح الحارس بنبرة خشنة. " ودخلت الملكات مستغربات من الوضع المريب وتفاجئن بجسد الملكة نيث واقع بأكمله تحت قدميّ الملك. وبالنظر إلى الجسد النصف عاري المليء بالخدوش الحديثة المكوّم في منتصف القاعة استطعن استشفاف القليل عمّا يحصل.

انتظر الملك إلى أن جلست ملكاته على عروشهن. وقال آمراً الكاتب بجانبه بالتدوين : "أنا الملك المُعظّم بيبي الثاني آمُر بعقاب الخائنين كما تنصّ القوانين والأنظمة التي وضعها والدي وأجدادي من قبله. آمر بالتعذيب جلداً حتى الموت"

ارتعد جسد الملكة الخائنة خائر القوى عند قدميّ الملك. وانبثقت إلى سطح عقل الخادم الخائن الكثير من التخوّفات

اختيار

لعلّ أكبرها كان أن يصل خبر العقوبة المشينة للفعل المشين إلى والده المريض فيسوء حاله.

جرّ الحرّاس الجثتين الراكدتين للمجرمين الضعيفين خارج القاعة.

استقام الملك داعياً قزمه الجليل إلى مرافقته حتى جناحه.

وافترق الحضور عائدين إلى مساكنهم بعد اللّيلة الغريبة.

-

في مخدع الملك. استلقى فرعون على سريره الضخم آمراً قزمه بمتابعة الرّقص الذي عطّلته الحادثة.

بعد مرور دقائق طويلة أحسّ فيها الراقص أنّ مالكه لا يعيره أدنى انتباه، توقّف واتّجه إلى الباب يأمر الحاجب بإحضار نبيذ لجلالته.

حمل القزم _ الأجنبي عن المملكة _ الكأس الزّجاجية الكبيرة وسار إلى حيث يقبع جسد الملك؛ هذا الجسد الخالي من الروح إذ هامت وتركته بحثاً عن خلاص من عذاب فقدان الكرامة. جلس القزم بهدوء بجانب فرعون على السرير وناوله كأس النبيذ.

بعد أن سكب في حلقه نصف الكأس التفت فرعون يمينه حيث يوجد قزمه الجليل. وقال بمرارة : "أرأيت ما حلّ بمالكك يا عَن زا؟"

توتر القزم بشدة، هو لم يسبق له أن كان بهذا القرب من الملك ناهيك عن أن يخاطبه جلالته باسمه وينتظر جواباً..

ولكن يبدو أن الملك المبجّل لا ينتظر جواباً إذ أكمل بنبرة طغى عليها التعب : "حذّرتني والدتي من الزواج من غريبة عن عائلتنا وعن قصرنا. ولكنّني تزوّجتها بسببك يا عَن زا"

تحرّكت الرموش الطويلة في وجه القزم بسرعة حائراً بما يسمعه.

وتابع الملك شكواه بعد أن أنهى على آخر قطرة نبيذ احتوته كأسه : "أبوها كان خادمنا المخلص. كان محارباً شرساً وشجاعاً. ولمّا استطاع الحصول عليك في الحملة العسكريّة التي قادها إلى نوبيا توجّب عليّ مكافئته. ولكن يبدو أن سوء الطّالع الذي رافق والدي قد بقي منه القليل ليرافقني."

تناول القزم الكأس الفارغ من يد الملك. وضعها على الطاولة المنخفضة بجوار السرير المعدني الضخم. وأكمل الإصغاء إلى الفرعون

في الماضي تعرّض والدي أيضاً للخيانة وأحال زوجته التي " تآمرت عليه طمعاً بعرشه إلى المحاكمة. تلك الملكة هربت ولم تكمل محاكمتها وأخشى أن تكون النهاية كما حصل سابقاً.."

فرعون لم يعلم أنّه أفصح عن مخاوفه أمام الشخص الخاطئ.

بعد وقوع الملك في النوم عاد القزم إلى مخدعه حيث ينتظره السيد زاو، خال الملك والذي يسعى بشدّة للانتقام منه لما حلّ بشقيقتيه بسبب هذا الفرعون المتجبّر وبسبب والده من قبله.

اختيار

أقفل القزم الباب وجلس بجوار السيد زاو على الأريكة قائلاً بسرعة وبغير صبر : "نحن يجب أن نُفشل هذه المحاكمة. يجب أن نسمح بهروب الخائنين"

غضب السيد زاو مما يظنّه استهزاء به : "أنا أطمح للحصول على حقّ شقيقتيّ الاثنتين وأنت هنا تقترح الانشغال بمساعدة ملكة خائنة!!"

ارتعب القزم من النّبرة الغاضبة وقال بخضوع : "إذا جعلناه يعيش ما عاشه والده قبله من يأس وذلّ سنضمن تدمير أقصى دواخله."

عندما استشعر هدوء السيد وإصغائه تابع القزم محاولته : "حدّثني جلالته عمّا حلّ بوالده الملك بيبي الأول ويبدو أن هذه الحادثة تؤثر عميقاً في هذا الفرعون الظالم."

-

وبالفعل وفي نفس الليلة استخدم السّيد زاو قوّته ومركزه ليساعده في تخليص المجرمَين من العقوبة التي كانت قبل عدة لحظات محتّمة عليهما.

اختيار

على الضّوء الخفيف الصّادر عن شمعة صغيرة غادر الخادم مع ملكته القصر ورافقهما السّيد زاو حتى الأبواب الخارجية للقصر.

وقبل أن يكملا مسيرهما توقّفت نيث أمام قبر والدة زوجها رغماً عن المخاطر المُحتملة. إذ قرّرت تقديم الاحترام والطّاعة لها، والاعتذار منها عمّا بدر منها من خيانة عظيمة مشينة.

أمام أحد جدران المقبرة وقف مير وقرأ برهبة واستغراب : "أما من جهة أي فرد يريد أن يلحق أي أذى بهذا القبر الذي في المقبرة، وهو الذي تابوته مركب فيه الأب فوق أمه (أي الغطاء فوق التابوت)، فإني سأتقاضى معه في المجلس المبجل الفاخر للإله العظيم رب الغرب، وسأقبض على رقبته كما يقبض الإنسان على عصفور، وسيسري خوفي فيه أمام كل من على الأرض، وكل الأحياء سيرتعدون من الأرواح الممتازة، وإني روح ممتازة، ليس السحر أمامها بالشيء المستعصي، أما كوني حاذقةً فإني مرتلة حاذقة وامرأة عالمة بـ «أمور السّحر»."

على صوت الخادم خرجت الملكة من أفكارها ونظرت إلى حبيبها موضحة : "أمر الملك بيبي الأول بإعدام الملكتين للتخلص من غضب الشعب على هروب ملكته المتآمرة. هو أنساهم الحادثة الأولى من خلال اتّهام والدة ملكنا وشقيقتها الملكة"

عندما شاهدت الحيرة تعلو مُحيِّي عشيقها قالت : "قتل ملكته خالة الفرعون الحالي. وأبقى على الملكة الثانية بطلب من ابنه

الأول. ولكن وبعد أن توفي الملك الصغير وتسلم شقيقه العرش أكمل ما بدأه والده. هو قتل والدته.."

هذا الخطاب أنا مَن كتبته بأمر من الملكة بينما كانت على " فراش الموت. لأنها تدرك أن هذه الميتة ستشجّع اللصوص فيتجاهلون حرمة المكان"

خرجا من هذا القصر بلا نية للرجعة. بداخل الملابس الرثة الفضفاضة التي من شأنها أن تخفي هويّتهما سارا متشابكي الأيدي على هدى نور القمر قاصدَين قرية الخادم التي تبعد عن المملكة مسافة أيام وليالي.

-

الصّباح حل بشكل مختلف بالنسبة للمكانين البعيدين عن بعضهما.

في القصر عمّت الفوضى وانتشر الخوف من الملك الهائج. هذا الهيجان الذي ملأ قلبين بسرور عظيم.
أحدهما كان يسكن بداخل صدر شخص يسعى للنتقام من الفرعون بكل الطرق الخطيرة منها والبسيطة.
أما الآخر فكان يعود لشخص سُلبت منه حرّيته وبقي مملوكاً يحاول جاهداً الانتقام لروحه الحرّة المغدورة..

وفي المكان المُقفر على أطراف المدينة دخل الحبيبان المتعبان إلى المعبد الصغير المقام للإله فتاح، بغاية التضرّع والتكفير عن الذنب الرهيب الذي تشاركاه ولن يتخليا عنه في أي وقت قريب..

-

اختيار

بوصولهما إلى البيت الريفي الخاص بوالد مير انتهت رحبتهما هنا وبدأت حياتهما الجديدة

عاشا مع الأب المُسنّ المريض مدّعيين أن نيث هي ابنة أحد العبيد، أحبّا بعضهما للحد الذي أجبرهما على المخاطرة بحياتهما والهروب من بطش الفرعون.

عاش الثلاثة معاً لسنة حتى توفي والد مير. وتركهما ليعيشا الحياة التي اختاراها بكامل أرادتيهما.

-

على أطراف قرية زراعية متوسطّة الحال يقبع منزل صغير مصنوع من الطّين اللِّبن الذي يجود به النّيل العَظيم على المصريين في كلّ عام.

وتحت قبّة هذا المنزل تعيش عائلة سعيدة ومكتفية.

في وسط البرد القارس امتلأ مسكن العائلة بدفئ لطيف حارّ، وحول الموقد تجمّع الأفراد المتحابّون.

على البساط الأرضي البسيط جلس مير وعلى قدميه تقبع ابنته مجعّدة الشعر ذات الأشهر. ينظران بعينين تفيض بالإعجاب والانبهار إلى الملكة التي رغبت اليوم أن تؤدي دور راقصة فاتنة.

في منتصف الحجرة الصغيرة رقصت مَن عاشت كملكة لفترة من الزمن، هي الآن تقف على ساق واحدة وقد رفعت الثانية لأعلى، يميل جذعها إلى الخلف في حين تمتدّ ذراعاها إلى الأمام في وضع موازٍ للسّاق الممتلئة المرفوعة.

اختيار

هذا المشهد دفع عقل مير لاستحضار ذكرى شقيقته الوحيدة.
وأيضاً دفع دموع الشوق لأن تترقرق في عينيه الواسعتين.

ولن يعلم أنها في الواقع تؤّدي في هذه اللّحظة رقصة مبهرة في قاعة كبيرة مليئة بأشراف القوم.

عندما رأت نيث الدموع في عينيّ محبوبها هرعت إليه تغمر جسده مواسيةً إياه متقاسمة الهموم معه كما تقاسما السعادة بعد أن صنعاها.

-

في القاعة الكبيرة الملوّنة والمزيّنة التي تعجّ بالكثير من البشر على اختلاف أعراقهم وأجناسهم ومواقعهم الاجتماعية.

وقفت الراقصة 'ما ري' على منصة مرئية بأكملها بواسطة الكثير من الأعين، منها الفضولية، المعجبة، المغرمة، الحاسدة، أو المتملّكة.

على مرّ السنوات تعلّمت الفتاة القروية الطموحة أن تتجاهل كل شيء وتركز في فنّها.

وهو ما تفعله في هذه اللّحظة، حيث تولي جلّ انتباهها لشريكتها في الرقص الواقفة خلفها _ مفرجة الساقين مثلها _ على مقربة من جسدها لحدّ يسمح لها باتخاذ الخطوة الأولى وهي احتضان وسطها مانحة إياها الإذن بالعبور للخطوة التالية، ثم تحتضن وسط زميلتها بدورها آخذة بالوقوف من جديد رافعة إيّاها معها جاعلة إياها تدلّي رأسها الحاسر إلى أسفل دافعة ساقيها ليحيطان رأس شريكتها في الأعلى..

اختيار

وكنقلة نهائية وسط ذهول وتقدير الحضور انحنت حتى لامست ساق زميلتها الأرض.

بينما تؤدّي دورها بمهارة وموهبة كان هناك ما يشغل عقلها بشدّة. هي تلقّت صباح هذا اليوم دعوة من أخيها للزيارة.

الأمور هنا هدأت ويبدو أن الفرعون كثير اللهو نسي بشأن ملكته الفارّة!.

ولكن مع ذلك هي ببساطة لا تستطيع العودة لتلك القرية حتى لو كان فقط من أجل زيارة قصيرة..

هي عاشت أياماً قاسية هناك في ربوع تلك القرية. وحتى بعد أن استطاعت النجاة منها لحقها سوء طالعها وسرق الموت والدتها؛ وهي تعلم أنّها كانت أحد أهمّ أسباب هذه الوفاة النّصف مفاجئة..

-

بعد التفكير مليّاً، هي قرّرت اقتناص هذه الفرصة واستغلالها في التقرب من شقيقها الوحيد.

وهذا بالتحديد ما أدى لوقوفها أمام الباب المستجدّ والذي بطريقة ما ذكّرها بالباب المتهالك الذي ألفته في طفولتها وشبابها الأول.

حاملة أمتعتها القليلة بيدها اليمنى هي استخدمت الثانية لتقرع الباب بهدوء. ووقفت بثيابها المغبرة بسبب الرحلة الطويلة تنتظر مُالكَيّ المنزل ليُدخلاها.

في الداخل وجدت الرّاقصة المحترفة المعتادة على الرغد والغنى، وجدت نفسها قادرة بدون أدنى جهد على لمس السلام

اختيار

والحب والسكينة في هذا المنزل الصّغير وفي أثاثه الأنيق رغم أنه مهترئ جزئياً.

بعد تشارك القليل من الأحاديث العادية مع الحبيبَين، تركاها لترتاح برفقة صغيرتهما، وخرجا ليُعدّا الطّعام.

في أحد أركان الغرفة الصّغيرة المغلقة جلست ما ري بعد أن ارتدت ثياباً نظيفة وبجانبها أمتعتها. ومقابلها تحت الكثير من الأغطية الثقيلة استلقت الطّفلة بسكينة فاتحة عينيها السوداوان على اتساعهما تحدّق بدون رمشة واحدة في السقف أعلاها، تتأمله بغير كلل أو ملل كأنه أحد عروض السّحر. وما كان من العمّة الشابّة إلّا أن ركّزت ناظريها على الرّضيعة صغيرة الحجم الملفوفة بأردية ملوّنة تبعث السّرور في النّفس.

بعد حديث ممتع مع الملكة السّابقة للبلاد أدركت ما ري لماذا ضرب أخاها بالتقاليد عرض الحائط لأجلها.

سابقاً كانت قد سمعت من الناس في المدينة ما يتناقلوه عن أيام القائد العسكري 'حرخوف' الأخيرة وعن رفضه التقاعد حتى بعد استفحال مرضه وعن موته في حملته الأخيرة ووصيّته بأن يُدفن كآبائه وأجداده وسائر المصريين وليس في أي أرض غريبة غير حائزة على القداسة الكافية.

هي تعلّمت في مكان ما من حياتها المثيرة ألّا تصدّق كلّ ما يقع على مسمعها، حتى ولو كان حديثاً شائعاً.

ولكن وبالنظر إلى الابنة الآن، تمكنّت أخيراً من الوصول إلى قناعة عن صدق ما يتناقله الناس عن نُبل الوالد.

اختيار

في نهاية الزيارة القصيرة دفع هذا الحب العظيم الراقصة لأن توافق على طلب شقيقها وتنفذ ما يريده بكل حبور.

إذ أقدمت بعد العديد من السنوات على سؤال أحد الوزراء أن يأمر بنقش معيّن على القبر المشترك للحبيبين.

على القبر المتواضع الذي أوهمت الوزير المذكور أنه يخصّ والديها؛ بكل مهارة وإتقان صُوِّرت الآلهتان الحاميتان إزيس ونفتيس وهما تفردان أجنحتهما إلى جانب أبناء حورس الأربعة.

كانت هذه الصورة على الجانب النقيض من التواضع والبساطة ولكن الحب العظيم المدفون حافظ عليهما.

-

في أحد الأيام الباردة رقصت الملكة بمراقبة من العيون الفضولية المدهوشة والمعجبة لابنتها التي ستكبر لتصبح راقصة موهوبة معروفة بطول البلاد وعرضها.

أمّا قصة الحبّ العظيمة فسرعان ما أصبحت طيّ النّسيان. وطوال السبعين عاماً التي عاشها الفرعون بعد الحادثة لم يتطرّق أي أحد لذكرها..

-

أعتذر من كلّ محب للتاريخ عن مقدار التحريف الضخم * الذي ذُكر في هذه الفصول الثلاثة*